إِشكاليَّة الواو في (والرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ) دراسة سيميائيَّة

م.د. جاسم جعيز منخي
كليَّة الإمام الكاظم عليه السَّلام للعلوم الإسلاميَّة الجامعة/ قسم اللغة العربيَّة
jassim.jaez@alkadhum-col.edu.iq

الملخَّص:

حين تعدَّدتِ الدَّلالة للنَّصّ القرآنيّ نُظِر لسياقاته اللُّغويَّة تبعًا لذلك التَّعدُّد الدَّلاليّ، الأَمر الَّذي جعل أَلسنة المفسِّرين تختلف تارة، وتتَّفق أُخرى في تأويل القرآن الكريم. وبحثُنا يندرج تحت قائمة الخلاف العقائديّ اللُّغويّ، فالواو في((والرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ)) علامة لغويَّة سيميائيَّة نُظِرَ إليها مرَّةً على أَنَّها عطفٌ، فاستلزم ذلك وضع علامة الوقف في الرَّسم القرآنيّ على آخِر كلمة (العِلْم)، وثانيةً على أَنَّها استئناف فوُضعت علامة الوقف على لفظ الجلالة من قوله:((وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ. وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ))، وذلك خلافٌ جرى في أَذهان المفسِّرين حتَّى أَصبح محورًا عقائديًّا بين مدرسة إِسلاميَّة وأُخرى.

وقد اعتمد البحث في تحليله على الاستدلال الدَّاخليِّ، والاستدلال الخارجيِّ؛ للوصول إِلى تحديد المعنى المقبول علميًّا لعلامة الواو في:((والرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ)) الَّذي سيكون بحسب البحث محصورًا باحتمالين، هما: عطف جملة، أَو استئناف. ولله الحمد قبلًا وبعدًا.

الكلمات المفتاحيَّة: إِشكاليَّة، والعطف، والاستئناف، وسيميائيَّة.

The problem of the letter ‘waw’ in «warraasikhoona fil ‘ilm» : A Semiotic Study

Teacher Dr. jasim jaze manki
College of Imam Kadhum for Islamic Sciences/ Department of Arabic

Abstract:

The multiplicity of Qur’anic text leads to the consideration of its linguistic contexts and accordingly interpreters one time disagree and another time agree in their interpretation of the Glorious Qur’an. This paper is an example of the dogmatic linguistic dispute as ‘waw’ in «warraasikhoona fil ‘ilm» is a semio-linguistic sign considered once as a conjunction and this necessitates putting a pause mark in the Qur’anic transcription at the end of the word‘’ilm’ and another time as a resumptive with a pause mark being put on the word ‘Allah’ in «wama ya’lamu ta’weeluh ila Allah, warraasikhoona fil ‘ilm». This difference occupied the mind of the interpreters until it became a dogmatic axis between an Islamic school and another.

The paper depends in its analysis on the internal and external inference to arrive at determining the meaning that is scientifically accepted of the ‘waw sign in «warraasikhoona fil ‘ilm» which will be limited, according to the paper, to two possibilities which are a sentence coordination or resumption. Praise goes to Allah before and after.

Key words: The problem, coordination, resumption, semiotic

1. المقدّمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على محمَّد وآله الَّذين أَذْهَبَ الله تعالى عنهم الرِّجس وطهَّرهم تطهيرًا. وبعدُ، فإنّ تأويل النَّصّ القرآنيّ لم تنتهج فيه المدارس الإسلاميَّة طريقًا واحدًا، وتبعًا لاختلاف زوايا النَّظر إلى النَّصّ القرآنيّ وجدنا تأويلات عدَّة للنَّصّ الواحد في أَحايين كثيرة على أَلسنة المفسِّرين، الأَمر الذي أَدَّى إلى خلاف على المستويات اللغويّة، والعقائديّة، والفقهيّة، والمعرفيّة، وغيرها.

وسيق النَّصّ بمناحٍ شتَّى في التَّأويل اللُّغويّ، وفقًا للخلاف في النَّظر إلى معنى النَّصّ، فالنَّصّ القرآنيّ نصّ لغويّ؛ والمعنى هو المحدِّد للدَّلالة اللُّغويَّة، وحين تعدَّد المعنى تعدَّدتِ الدَّلالة، ومن هذا المنطلق نجد أَنَّ الواو في((والرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ)) علامة لغويَّة سيميائيَّة نُظِرَ إليها مرّةً على أَنَّها عطفٌ، فاستلزم ذلك وضع علامة الوقف في الرَّسم القرآنيّ على آخر كلمة (العِلْمِ)، وثانيةً على أَنَّها استئناف، فوُضعت علامة الوقف على لفظ الجلالة من قوله:((وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ. وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ))، وذلك الخلاف في تحديد الحكم الإعرابيّ للواو له أَثر في المعنى سنبيِّنه في البحث، إذ أَخذت هذه العلامة اللُّغويَّة مديات في أَذهان المفسِّرين، وكانت مائزًا عقائديًّا بين مدرسة إسلاميَّة وأُخرى.

اعتمد هذا البحث بنحو رئيسٍ في تحليله السِّيميائيّ على المنهج القرآنيّ، بالإفادة من الإحالة الدَّاخليَّة في النَّصّ، مستشهدًا بنصوص لا تقبل الردّ في إيضاح المراد والمعنى المرجَّح في:((والرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ))، ومستعينًا بالتَّقنيَّات اللُّغويَّة السِّيميائيَّة، فضلًا عن الإحالات الخارجيَّة السَّاندة في تحديد دلالة مصطلح:((الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ)) القرآنيّ، والحمد لله ربّ العالمين.

2. مصطلحات البحث:

لا بدَّ لنا ونحن نروم تحليل نصٍّ مقدَّس وصولًا إلى نتيجة مستندة إلى معايير علميَّة تُجاه الخلاف الَّذي وقع بين النَّحويِّين والمفسِّرين في عدِّ الواو في((والرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ)) عطفًا أو استئنافًا؟ لا بدَّ لنا أَنْ نقف وقفة موجزة عند العلامة اللُّغويَّة لأَبرز المصطلحات الَّتي تخصّ البحث.

الإشكاليَّة:

يدلّ هذا المصطلح على مجموعة من الأَفكار الَّتي قد تختلف فيما بينها، ولكنَّها تشكِّل وحدة فكريَّة، أَو نظريَّة، تتيح للباحث أَنْ يدرسها بوصفها قضيَّة مستقلَّة (وغليسي، 2008، ينظر: 49) (إبراهيم، 2018، ينظر: 30). والـ(واو) في:((والرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ)) تعدُّ من الإشكاليَّات التَّفسيريَّة الَّتي أَدَّى الخلاف في تحديد نوعها لغويًّا إلى ظهور اتِّجاهين متباعدين عقائديًّا في النَّظر إلى تأويل النَّصّ القرآنيّ.

العطف:

يقول ابن يعيش: «يُقالُ: حُرُوفُ العَطْفِ وحُرُوفُ النَّسَقِ، فَالعَطْفُ مِنْ عِباراتِ البَصْرِيِّينَ، وهُوَ مَصْدَرُ عَطَفْتُ الشَّيْءَ عَلى الشَّيْءِ، إذا أَمَلْتَهُ إِلَيْهِ، يُقالُ: (عَطَفَ فُلانٌ عَلى فُلانٍ)، و (عَطَفْتُ زِمامَ النَّاقَةِ إِلى كَذا)، و (عَطَفَ الفارِسُ عِنانَهُ)، أَيْ: ثَناهُ وأَمالَهُ. وسُمِّي هَذا القَبِيلُ عَطْفًا؛ لِأَنَّ الثَّانِي مَثْنِيٌّ إِلى الأَوَّلِ، ومَحْمُولٌ عَلَيْهِ فِي إِعْرابِهِ. والنَّسَقُ مِنْ عِباراتِ الكُوفِيِّينَ، وهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: (ثَغْرٌ نَسَقٌ)، إِذا كانَتْ أَسْنانُهُ مُسْتَوِيَةً، وكَلامٌ نَسَقٌ إِذا كانَ عَلى نِظامٍ واحِدٍ. فَلَمَّا شارَكَ الثَّانِي الأَوَّلَ وساواهُ فِي إِعْرابِهِ سُمِّيَ نَسَقًا» (ابن يعيش، 2001: 8/ 88).

والعطف «تابعٌ يَدُلُّ عَلى مَعْنًى مَقْصُودٍ بِالنِّسْبَةِ مَعَ مَتْبُوعِهِ، يَتَوَسَّطُ بَيْنَهُ وبَيْنَ

مَتْبُوعِهِ أَحَدُ الـحُرُوفِ العَشْرَةِ، مِثْلُ: (قامَ زَيْدٌ وعَمْرٌو)، فَعَمْرٌو تابِعٌ مَقْصُودٌ بِنِسْبَةِ القِيامِ إِلَيْهِ مَعَ زَيْدٍ» (الشريف الجرجاني، 2009: 152).

الاستئناف:

«هُوَ ما وَقَعَ جَوابًا لِسُؤالٍ مُقَدَّرٍ مَعْنـــى» (الشريف الجرجاني، 2009: 21)، وهو «الابتداء بـجملة بعد قطعها عمَّا سبقها، وعن حكمها الإعرابـيِّ. وحرفا الاستئناف هـما: الواو والفاء» (يعقوب، 1988: 42).

الرُّسوخ:

«الرَّاءُ والسِّينُ والـــخاءُ أَصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ عَلى الثَّباتِ، ويُقالُ: رَسَخَ: ثَبَتَ، وكُلُّ راسِخٍ ثابِتٌ» (ابن فارس، 2011: 1/ 465)، و«رَسَخَ الشَّيْءُ رُسُوخًا، إِذا ثَبَتَ فِـــي مَوْضِعِهِ. وأَرْسَخْتُهُ إِرْساخًا، كَالـــحِبْرِ يَرْسَخُ فِـــي الصَّحِيفَةِ، والعِلْمِ يَرْسَخُ فِـي القَلْبِ. وهُوَ راسِخٌ فِـــي العِلْمِ: داخِلٌ فِيهِ مَدْخَلًا ثابِتًا...والدِّمْنَةُ الرَّاسِخَةُ: الثَّابِتَةُ. قالَ لَبِيدٌ:

راسِخ الدِّمْنِ على أَعْضادِهِ ثَلَمَتْهُ كُلُّ رِيحٍ وسَبَلْ»

(الفراهيدي، 1988: 4/ 196)

السيميائية:

(سَوَمَ) تعنـــي العلامة، إذ ذكر ابن منظور (ت711هـ): «السُّـــومَةُ، والسِّيمَةُ، والسِّيماءُ، والسِّـــيمِياءُ: العَلامَةُ. وسَـــوَّمَ الفَرَسَ: جَعَلَ عَلَيْهِ السِّيمَةَ» (ابن منظور: 12/ 312 سوم).

ويرى بيير جيرو أَنَّ السِّيميائيَّة: «علم يدرس أَنساق الإِشارات: لغات، أَنـــماط، إِشارات الـمرور، إِلـى آخِره» (جيرو، 1992: 23). فهي علم يدرس بِنْيَة الإِشارات وعلائقها فـي الكون (جيرو، 1992، يُنظر: 9).

3. السّياق القرآنيّ

يسلك المفسِّرون في بعض تأويلاتهم مناهج لبيان النَّصِّ القرآنيّ، كالمنهج العقليِّ، والمنهج البيانيِّ، والمنهج الصُّوفيِّ، والمنهج الفلسفيِّ. ويعدُّون منهج تفسير القرآن بالقرآن من أَسمى المناهج الصَّحيحة الَّتي تكفلُ بيان المقصود من الآيات القرآنيَّة، وقد قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[النَّحل 89]، «فإذا كان القرآن موضِّحًا لكلِّ شيء، فهو موضِّح لنفسه أَيضًا» (السَّبحاني 2013: 139). وجاء على لسان النَّبيّ الكريم – صلَّى الله عليه وآله –: «إِنَّ القُرْآنَ لَيُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَلا تُكَذِّبُوا بَعْضَهُ بِبَعْضٍ» (المتقي، 1399ه: 1/ 619، الحديث: 2861)، وقال الإمام عليّ – عليه السَّلام – واصفًا القرآن: «كِتَابُ اللهَّ تُبْصِرُونَ بِهِ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ. وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ. وَلَا يَخْتَلِفُ فِي اللهَّ، وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللهَّ» (الإمام علي (عليه السَّلام)، 2010: 192).

وهذا المعنى يصدِّقه علم النَّصّ، فـ«تشكّلُ كلّ متتالية من الجمل نصًّا، شريطة أَنْ تكون بين هذه الجمل علاقات، أَو على الأَصحّ بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات، تتمّ هذه العلاقات بين عنصر وآخَر وارد في جملة سابقة، أَو جملة لاحقة، أَو بين عنصر وبين متتالية برمَّتها سابقة أو لاحقة» (خطابي، 2012: 13). فالقرآن الكريم ثابت بالدَّليل اللُّغويّ، والبيانيّ، والمعرفيّ، أَنَّه متتالية جُمَلِيَّة تُشَكِّل وحدة دلاليَّة متَّصلة معنويًّا، إِذ إِنَّه لا يمكنك الاستغناء عن حرف واحد، أَو استبدال كلمة بأُخرى؛ لأَنَّ ذلك يؤدِّي إِلى اختلال المعنى في النَّصّ القرآنيّ. وبناءً على هذا المنحى الَّذي يُعَدُّ صورةً من صور الإِعجاز القرآنيّ، سندرس النَّصّ مفيدين من المعنى السِّياقي له؛ وصولًا إِلى فكّ الإِشكاليَّة تُجاه عَدّ الواو عطفًا أَم استئنافًا.

4. مقولة المفسِّرين:

يوجز صاحب تفسير الميزان إِشكاليَّة المفسِّرين تُجاه النَّظر إِلى الآية السَّابعة من سورة آل عمران بقوله: «ذهب بعض القدماء، والشَّافعيَّة، ومعظم المفسِّرين من الشِّيعة، إِلى أَنَّ الواو للعطف، وأَنَّ الرَّاسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه من القرآن. وذهب معظم القدماء والحنفيَّة من أَهل السُّنَّة إِلى أَنَّه للاستئناف، وأَنَّه لا يعلم تأويل المتشابه إِلَّا الله، وهو ممَّا استأْثر الله سبحانه بعلمه. وقد استدلَّت الطَّائفة الأُولى على مذهبها بوجوه كثيرة وببعض الرُّوايات، والطَّائفة الثَّانية بوجوه أُخر وعدَّة من الرُّوايات الواردة في أَنَّ تأويل المتشابهات ممّا استأثر الله سبحانه بعلمه، وتمادت كلّ طائفة في مناقضة صاحبتها، والمعارضة مع حججها» (الطَّباطبائي، 1997: 3/ 58).

ويذكر الطّبرسيّ في تأويل قوله تعالى:((وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)) أَنَّ المقصود بالرَّاسخين في العلم، أَي: الثَّابتون في العلم، الضَّابطون له، المُتْقِنُون فيه. واخْتُلِفَ في نظمه وحكمه على قولين: أَحدهما: أَنَّ (الرَّاسخون) معطوف على الله بالواو، على معنى إِنَّ تأويل المتشابه لا يعلمه إِلَّا الله، وإِلَّا الرَّاسخون في العلم، فإِنَّهم يعلمونه، و (يقولون) على هذا في موضع النَّصب على الحال، وتقديره: قائلين: (آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا) كقول ابن المفرِّغ الحميريّ:

الرِّيحُ تَبْكِي شجوةً والبَرْقُ يَلْمَعُ فِي غَمامَة

أَي: والبرق يبكي أَيضًا لامعًا في غمامة (الطَّبرسي، 2005، ينظر: 2/ 241). فالتَّقدير في الآية يكون تَبَعًا لذلك أَنَّ الرَّاسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه حال كونهم يقولون آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا، فجملة: (يقولون) في موقع الحال للاسم المعطوف (الرَّاسِخُونَ).

وفـي هذا السِّياق ينقل الطّبرسيّ فـي تفسيره عن أَبـي جعفر – عليه السَّلام – : «إِنَّ رَسُولَ الله أَفْضَلُ الرَّاسِخِينَ فِـــي العِلْمِ، قَدْ عَلِمَ جَـــمِيعَ ما أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ التَّأْوِيلِ والتَّنْزِيلِ. وما كانَ اللهُ لِيُنْزِلَ عَلَيْهِ شَيْئًا لَـــمْ يُعَلِّمْهُ تَأْوِيلَهُ. وأَوْصِياؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ يَعْلَمُونَهُ كُلَّهُ» (القميّ: 96 – 97) (الطَّـــبرسي، 2005: ينظر: 2/ 241). «وكانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ فِـي هَذِهِ الآيَةِ: أَنا مِنَ الرَّاسِخِينَ فِـي العِلْمِ» (الطَّبرسي، 2005: 2/ 241).

«والقَوْلُ الآخَرُ: أَنَّ الواوَ فِـي قَوْلِهِ (والرَّاسِخُونَ) واوُ اسْتِئْنافٍ، فَعَلى هَذا القَوْلِ، يَكُونُ تَأْوِيلُ الـمُتَشابِهِ لا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ تَعالـى، والوَقْفُ عِنْدَ قَوْلِهِ:((وما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ))، ويَبْتَدِئُ:((وَالرَّاسِخُونَ فِـي الْعِلْمِ)) يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ، فَيَكُون مُبْتَدَأً وخَبَرًا» (الطَّبرسي، 2005، ينظر: 2/ 241).

ويوجـز أَبو البركات بن الأَنبـاريّ (ت577هـ) التَّأويلين الـمذكورين بقوله: «الرَّاسِـخُونَ فِـي رَفْعِهِ وَجْهانِ: أَحَدُهُـما أَنْ يَكُونَ مُسْـتَأْنفًا مَرْفُوعًا بِالابْتِداءِ، وخَبَرُهُ:((يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ))، ودَلِيلُهُ قِراءَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ: (ويَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِـي العِلْمِ آمَنَّا بِهِ). والثَّانِـي: أَنْ يَكُونَ مَرْفُوعًا بِالعَطْفِ عَلى الله تَعالـى، فَكَأَنَّهُ قالَ: لا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ، ويَعْلَمُهُ الرَّاسِخُونَ، والـهاءُ فِـي (تَأْوِيلِهِ) تَعُودُ عَلى الـمُتَشابِهِ» (ابن الأنباري، 1980: 2/ 19).

5. العطف/ عطف المفرد:

يدلّ الواو بوصفه حرف عطف على الـجمع فـي ثبوت الـحكم للمعطوف، والـمعطوف عليه مطلقًا بلا إِشعار بترتيب بين الـمتعاطفين، نـحو: (جاءَنِـي زَيْدٌ وعَمْرٌو)، أَي: اجتمعا فـي الـمجيء مطلقًا (الزمخشري، 2016، ينظر: 200).

فمعنـى الواو كما يذكر ابن جنِّـي (ت392هـ) «الاجْتِماع. تَقُـولُ: (قامَ زَيْدٌ، وعَمْرٌو)، أَيِ: اجْتَمَعَ لَـهُما القِيامُ، ولا يُدْرى تَرْتِيبُ حالِـهِما فِيـهِ. هَذا ما ذَكَرَ.

والدَّلِيلُ عَلى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالـى: ((وَادْخُلُوْا البَابَ سُجَّدًا وَقُوْلُوْا حِطَّةٌ)) [البقرة 58]، ثُـمَّ ذَكَرَ فِـي سُورَةِ الأَعْرافِ:((وَقُوْلُوْا حِطَّةٌ وَادْخُلُوْا البَابَ سُجَّدًا)) [161]. والقِصَّةُ قِصَّةٌ واحِدَةٌ، فَلَمْ يُبالِ بِتَقْدِيـــمِ أَحَدِهِـما عَلى الآخَرِ، لَـمَّا لَـمْ يَكُنِ الواوُ يُوجِبُ التَّرْتِيبَ» (الأَصبهانيّ، 2007: 262).

ويقول ابن مالك (ت672هـ):

فَالعَطْفُ مُطْلَقًا: بِواوٍ، ثُـمَّ، فا، حَتَّـى،أَمَ،أَوْ،كَـ(فِيكَ صِدْقٌ ووَفا)

ويعلِّق ابن عقيل (ت769هـ) على ذلك بقوله: «حُرُوفُ العَطْفِ عَلى قِسْمَيْنِ:

أَحَدُهُـــما: ما يُشَرِكُ الـمَعْطُوفَ مَعَ الـــمَعْطُوفِ عَلَيْهِ مُطْلَقًا، أَيْ: لَفْظًا وحُكْمًا، وهِيَ: الواوُ، نَـــحْوُ: (جاءَ زَيْدٌ وعَمْرٌو). وثُـمَّ، نَـــحْوُ: (جاءَ زَيْدٌ ثُـمَّ عَمْرٌو)...» (الهمداني، 1967: 3/ 224 – 225).

وعبد القاهر الـجرجانـيّ (ت471هـ) يعضُدُ ما تقدّم بقوله: «ولَيْسَ لِلْواوِ مَعْنًـى سِوى الإِشْراكِ فِـي الـحُكْمِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ الإِعْرابُ الَّذِي أَتْبَعْتَ فِيهِ الثَّانِـيَ الأَوَّلَ. فَإِذا قُلْتَ: (جاءَنِـــي زَيْدٌ وعَمْرٌو) لَـــمْ تُفِدْ بِالواوِ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ إِشْراكِ عَمْرٍو فِـي الـمَجِيءِ الَّذِي أَثْبَتَّهُ لِزَيْدٍ، والـجَمْعِ بَيْنَهُ وبَيْنَهُ. ولا يُتَصَوَّرُ إِشْراكٌ بَيْنَ شَيْئَيْنِ حَتَّـى يَكُونَ هُناكَ مَعْنًـى يَقَعُ ذَلِكَ الإِشْراكُ فِيهِ» (الجرجاني، 2004: 224).

والـمخزوميّ يذكر فـي سياق حديثه عن العطف أَنَّ «ما يكون للعطف من هذه الأَدوات هو: الواو، والفاء، وثُـــمَّ، نـــحو: جاء زيدٌ وعمرٌو، وسافر زيدٌ فعمرٌو، وأَصحر زيدٌ ثُـمَّ عمرٌو. وهذه الأَدوات الثَّلاث أَدوات تشريك، تشرك ما قبلها وما بعدها فـي حكم واحد. فإِذا قلتَ: جاء زيدٌ وعمرٌو. فقد جعلتِ الواو الفعلَ شركة بين زيدٍ وعمرٍو، فكلٌّ منهما مسندٌ إِليه، وكلٌّ منهما فاعل. وارتفاع الثَّانـــي ليس لأَنَّه تابع للمسند إِليه، بل لأَنَّه مسند إِليه حقيقة» (المخزومي، 1986: 191).

وقد يُستلزم ممَّا تقدَّم أَنَّ الإِشراك الَّذي يوجبه العطف فيما إِذا قلنا بأَنَّ الواو في آية آل عمران حرف عطف قد يُستلزم إِضمار الشّرك بالله تعالى؛ لأَنَّه في الوقت الَّذي يشترك فيه الرَّاسخون في العلم مع الله في معرفة تأويل الكتاب، فإِنَّ الله عزَّ وجلَّ بناءً على ذلك ينبغي أَنْ يشترك مع الرَّاسخين في العلم فيما قالوا -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا -، وهذا يتنافى مع عقيدة التوحيد.

6. العطف/ عطف الجمل:

تتَّصف الجمل بالسَّبك والالتحام حين يربط بينها العطف، وهذا العطف كما يذكر عبد القاهر الجرجانيّ، أَي: عطف الجمل بعضها على بعض يأتي على ضربين:

الأَوَّل: لا يكون للجملة فيه موضع من الإِعراب حتَّى تكون واقعة موقع المفرد، وإِذا كانت الجملة الأُولى واقعة موقع المفرد، كان عطف الثَّانية عليها جاريًا مجرى عطف المفرد على المفرد، وكان إِيرادها غايته الإِشراك في الحكم، مثل قولنا: (مَرَرْتُ بِرَجُلٍ خُلُقُهُ حَسَنٌ، وخَلْقُهُ قَبِيحٌ)، فقد أَشركت الجملة الثَّانية في حكم الأُولى، وذلك الحكم كونها في موضع جرّ بأَنَّها صفة للنَّكرة (الجرجاني، 2004: 223).

الثاني: أَنْ تعطف على الجملة العارية الموضع من الإِعراب جملة أُخرى، كقولك: (زيدٌ قائمٌ، وعمرٌو قاعدٌ)، و (العِلْمُ حَسَنٌ، والجهل قبيحٌ)، وليس هنا إِشراك حكم الثَّانية بالأُولى، فالمغزى من هذا العطف يوجزه الجرجانيّ بقوله: «ثُمَّ إِنَّ الَّذِي يُوجِبُهُ النَّظَرُ والتَّأَمُّلُ أَنْ يُقالَ فِي ذَلِكَ: إِنَّا وإِنْ كُنَّا إِذا قُلْنا: (زَيْدٌ قائِمٌ، وعَمْرٌو قاعِدٌ)، فَإِنَّا لا نَرى هَهُنا حُكْمًا نَزْعُمُ أَنَّ الواوَ جاءَتْ لِلْجَمْعِ بَيْنَ الجُمْلَتَيْنِ فِيهِ، فَإِنَّا نَرى أَمْرًا آخَرَ نَحْصُلُ مَعَهُ عَلى مَعْنى الجَمْعِ. وذَلِكَ أَنَّا لا نَقُولُ: (زَيْدٌ

قائِمٌ، وعَمْرٌو قاعِدٌ)، حَتَّـــى يَكُونَ عَمْرٌو بِسَبَبٍ مِنْ زَيْدٍ، وحَتَّـى يَكُونا كَالنَّظِيرَيْنِ والشَّرِيكَيْنِ، وبِـــحَيْثُ إِذا عَرَفَ السَّامِعُ حالَ الأَوَّلِ عَناهُ أَنْ يَعْرِفُ حالَ الثَّانِـــي» (الجرجاني، 2004: 224).

والعطف الوارد فـــي آية آل عمران يـــمكن أَنْ يكون عطف جـــملة من قبيل الضَّرب الثَّانـي الَّذي أَورده الـجرجانـيّ؛ بلحاظ أَنَّ هناك صلة بين الرَّاسخين فـي العلم، والإِيـمان بأَنَّ الله تعالـى هو العالـم بتأويل الـمتشابه فـي الكتاب الكريـم.

7. الاستدلال الدَّاخليّ:

قدرة القرآن الكريـــم فـــي كثير من نصوصه على إِيضاح مقاصده بنفسه، تبعًا لـــمنهجيَّة استنطاق النَّصّ بالنَّصّ نفسه، تعدّ من البنيات القرآنيَّة الكبرى، الَّتـــي يـمكن أَنْ تـــحلّ الكثير من إِشكاليَّات الـمفسِّرين وخلافاتـهم فـي تأويل النَّصّ، ولكن ينبغي لاعتماد هذه البنية اتِّباع معايير لغويَّة وعلميَّة، وعدم إِغفال ما ورد عن مـحمّد وآل مـحمّد (صلوات الله تعالى عليهم) تـجاه النَّصّ الـمراد إِيضاحه.

بالنَّظر إِلـى الـــمراد من الرَّاسخين فـي العلم فـي الآية السَّابعة من آل عمران، والآية الثَّانية والسِّتين بعد الـــمئة من سورة النساء، والتَّأَمُّل بـــما ورد من أَوصاف فـي الـموردين، وبـمقابلة نصِّيَّة، يـمكننا الوصول إِلـى أَمارات ترشدنا إِلـى دلالة الواو.

نـــجد أَنَّ آية سورة آل عمران، قوله تعالـى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِـي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾. نـجد أَنَّـها جعلت النَّاس صنفين تُـجاه النَّظر إِلـى القرآن الكريـم: الأَوَّل: (الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ)، إِذ إِنَّـهم يتَّبعون

ما تشابه منه؛ لأَنَّـهم يبغون الفتنة والتَّأويل. والثَّانـي: (الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)، الَّذين يسلِّمون لله تعالـى، ويؤمنون بالكتاب جـملة واحدة، سواء أَدركوا الـمتشابه أَم لا. وهذا يتجلَّى بدلالة قولـهم: (آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا)، وهذا الـمعنى يدفعنا إِلـى القول إِنَّ بؤرة النَّصّ هنا تبرز فـي ثلاث علامات رئيسة، فضلًا عن وجود علامات فرعيَّة مساندة لـها. أولى هذه العلامات وهي الأَصل، تقسيم الكتاب إِلـى مـحكم ومتشابه، وإِرجاع الـمتشابه إِلـى الـمحكم؛ لأَنَّه أُمّ الكتاب. والثَّانية: حـصرُ معرفة التَّأْويل بالله عزَّ وجلَّ، وهذه جاء ذكرُها تبعًا لاتِّباع الَّذين فـي قلوبـهم زيغ الـمتشابه من الكتاب. والثَّالثة: تقسيم النَّاس تُـجاه الإِيـمان بالكتاب على قسمين: الَّذين فـي قلوبـهم زيغٌ، والرَّاسخون فـي العلم. وهذا الـمعنـى يتكشَّـف بالاعتماد على النَّصّ نفسه من دون الاسـتعانة بنصّ سورة النِّساء. أَمَّا إِذا نظرنا إِلـى الـموضعين اللَّذين ورد فيهما (الرَّاسخون فـي العلم) فإِنَّنا سنصل إِلـى حلّ الإِشكاليَّة الـخاصَّة بـماهيَّة الرَّاسخين فـي العلم الَّتـي بُنـي فـي إِثرها الـخلاف فـي أَنَّ الواو عطف أَم استئناف؟ فالـموضع الثَّاني، أَي: موضع آية سورة النِّساء: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِـي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِـمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ يُسْتَدَلُّ به على أَنَّ الرَّاسخين فـي العلم فـي سورة آل عمران لـم يـحصرهم القرآن بفئة معيَّنة، كما هو الـمُتَصَوَّر لدى بعض الـمفسِّرين لـمَّا أَرادوا أَنْ يُثبتوا أَنَّ آل مـحمَّد (عليهم السَّلام) يعلمون تأويل الكتاب كما ثبُت علم الله تعالى به، فذهبوا إِلـى عَدِّ الواو فـي الآية عاطفـة؛ ليُثبوا ما تقدَّم لآل مـحمَّد (عليهم السَّلام)، فـي حين أَنَّ النَّصّ فـي سورة النِّساء أَعطى هذا الوصف إِلـى طائفة من أَهل الكتاب؛ بالنَّظر إِلـى عود الضَّمير (هم) فـي (منهم) على أَهل الكتاب فـي النصّ، علمًا أَنَّنا سنثبت لاحقًا فـي بعض النُّصوص القرآنيَّة أَنَّ مـحمَّدًا وآل مـحمّد (عليهم السَّلام) كرَّمهم الله تعالـى بالعصمة، وجعلهم

خلفاءه، وترجمان كتابه المبارك، فهم بهذا اللِّحاظ أَعلى شأنًا من الرَّاسخين في العلم، أَو هم على رأس هرم الرَّاسخين في العلم، وغيرهم دونهم وإنِ اصطبغوا بصفة الرُّسوخ في العلم.

أَضف إِلى ما تقدَّم أَنَّ الضَّمائر الواردة في الجملة الفعليَّة الَّتي هي في موضع الخبر للمبتدأ (الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) في سورة آل عمران تدلّ على أَنَّ الواو الواردة ليست عطفًا – عطف مفرد –، ولبيان ذلك نستفهم بالآتي: الواو في (يقولون) على من تعود؟ و (نا) المتكلمين مَن المراد بها؟ والهاء في (به) على من تعود؟ والحذف الدَّالّ عليه التَّنوين في (كلٌّ) على ما يدلّ؟

8. الاستلال الخارجيّ:

يقوم هذا المعنى على اعتماد مصادر خارج النَّصّ لها قوَّة في الاستدلال على نصّ الكتاب لإِيضاح المراد، وذلك باعتماد عِدل الكتاب المبارك بنصّ رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) في حديث الثَّقلين (الكلينيّ، 2009: 1/ 266)، فبالنَّظر إِلى ما ورد من أَوصاف في النُّصوص الورادة عن آل محمَّد (عليهم السَّلام) يمكننا تحديد دلالة الواو.

ورد في كتاب نهج البلاغة للإِمام عليّ (عليه السَّلام): «فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ، فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ، فَائْتَمَّ بِهِ وَاسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ. وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ وَلَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله وَأَئِمَّةِ الْهُدَى أَثَرُهُ، فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى اللهَّ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللهَّ عَلَيْكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ الْإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ، فَمَدَحَ اللهَّ تَعَالَى اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا، وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ

يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخًا، فَاقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللهَّ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ، فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ» (الإمام علي (عليه السَّلام) 2010، خطبة 91، شرح 123). فالوصف الَّذي يعطيه أَمير المؤمنين (ع) للرَّاسخين في العلم يدلّ على نقصٍ وجهل لديهم في بعض المعارف الإلهية، بل إِنَّه (ع) يعضد فكرة أَنَّ قولهم في الآية:((يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا)) يدلّ على جهلٍ في إِدراك المتشابه من الكتاب، ويدلّ على عجزٍ لديهم، وذلك بقوله (ع):((فَمَدَحَ اللهَّ تَعَالَى اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا، وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخًا))، فهذا النَّصّ بلحاظ الاعتقاد بعصمة محمَّد وآل محمَّد (عليهم السَّلام) وولايتهم يؤكِّد أَنَّه لا يمكن حصر الرَّاسخين في العلم بهم (عليهم السَّلام)، بل إِنَّه – أَي: النَّص – يستدعي الاعتقاد بعلوِّهم ورفعتهم عمَّا هو أَجلّ وأَرفع من طائفة الرَّاسخين في العلم.

وورد عن الإِمام موسى الكاظم (عليه السَّلام) في رسالته لهشام بن الحكم عن العقل قوله: «يا هِشامُ، ثُمَّ ذَكَرَ أُولي الأَلْبابِ بِأَحْسَن الذِّكْرِ، وحَلَّاهُمْ بِأَحْسَن الحِلْيَةِ، فَقالَ عَزَّ وجَلَّ:((يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُو الأَلْبَابِ)) [البقرة 269]. وقالَ عَزَّ وجَلَّ:((وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُو الأَلْبَابِ)) [آل عمران 7]» (القرشي، 1431هـ: 1/ 214)، فنلحظ أَنَّ الإِمام بدأَ النَّصّ في آية سورة آل عمران من قوله:((وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ))، وهو في معرض مدحهم، وهذا يدلّ على أَنَّ الواو هنا ليست عطف مفرد، فلو كانت كذلك لبدأَ الإِمام عليه السلام الآية من قوله:((وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ)). وهذا يؤكِّد أَنَّ الرَّاسخين في العلم هم دون محمَّد وآل محمَّد (صلوات الله تعالى وسلامه عليهم).

9. الاستدلال اللّغويّ لمادة (رسخ):

يهدي النّظر إلى مادّة (رسخ) في معجمات الألفاظ إلى أنَّها عربيَّة أَصيلة لكنَّها غير طويلة، فقد اكتفى ابن فارس بالقول: «الرَّاءُ والسِّينُ والخاءُ أَصْلٌ واحِدٌ، يَدُلُّ عَلى الثَّباتِ. ويُقالُ: رَسَخَ: ثَبَتَ، وكُلُّ راسِخٍ ثابِتٌ» (ابن فارس، 2011: 2/ 395 (رسخ)). والمادّة ليست طويلة أَيضًا في لسان العرب وتاج العروس إِذا ما قيست بمعظم موادّ اللُّغة الّتي لها أرومة عربيّة (ابن منظور، ينظر: 3/ 18، 19 (رسخ)) (الزبيدي، 2005، ينظر: 4/ 271).

إِذا كان الرُّسوخ في الآية الكريمة متَّصلًا معناه بالأَصل اللُّغويّ، فذلك يعني أن الراسخين في العلم لا ينفكّون عن الرَّسوخ، ونقل ابن منظور: «رَسَخَ الشَّيْءُ يَرْسَخُ رُسُوخًا: ثَبَتَ فِي مَوْضِعِهِ، وأَرْسَخَهُ هَوَ. والرَّاسِخُ فِي العِلْمِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ دُخُولًا ثابِتًا. وكُلُّ ثابِتٍ راسِخٌ. ومِنْهُ:((الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ)) (ابن منظور: 3/ 18 (رسخ))). وقد مَثَّل اللّغويُّون للرُّسوخ في معناه الحقيقيّ برسوخ الجبل والدِّمنة (الزمخشري، 2009، ينظر: 228 (رسخ)) (الزبيدي، 2005، ينظر: 4/ 271، (رسخ)). وعليه يمكن الاستدلال – ترجيحًا على هذا القول – أنَّ الرَّاسخ في العلم لا يكون ثابتًا فيه ثباتًا مستمرًّا إِلَّا إذا كان ثباته فيه كثبات الجبل.

وقد عدُّوا استعمال الرُّسوخ مع العِلْم من باب المجاز (الزمخشري، 2009، ينظر: 228 (رسخ)) ((الزبيدي، 2005، ينظر: 4/ 271، (رسخ)). ويلحظ أنّ ما جاء من هذه المادّة على المجاز يُمكن معه وجود الرُّسوخ مدّة من الزّمن، ثُمّ ذهابه؛ لعارض من العوارض، فقد ذكر الزَّمخشريّ وغيره: رَسَخَ الحِبْرُ في الصَّحيفة، وهو مجاز (الزمخشري، 2009، ينظر: 228 (رسخ)) (الزبيدي، 2005، ينظر: 4/ 271، (رسخ))، وهذا الرُّسوخ معرَّض للزَّعْزَعَة خلافًا للجبل، فالحبر رُبَّما يمحوه تقادم الزّمن أو الماء أو ما أشبهه.

ثـــمّ إنّ الـــمعجميّين كغيرهم قد استوقفتهم الآية، فقيل إنَّ الرَّاسخين «فِـــي العِلْمِ فِـي كِتابِ الله: الـمُدارِسُونَ. ابْنُ الأَعْرابِـي: هُمُ الـحُفَّاظُ الـمُذاكِرُونَ قالَ: مَسْرُوقٌ: قَدِمْتُ الـــمَدِينَةَ، فَإِذا زَيْدُ بْنُ ثابِتٍ مِنَ الرَّاسِخِينَ فِـــي العِلْمِ. خالِدُ بْنُ جَنْبَة: الرَّاسِخُ فِـــي العِلْمِ: البَعِيدُ العِلْمِ» (ابن منظور: 3/ 18). ويـمكن القول إنَّ الـمُدارِسِينَ، والـحُفَّاظَ الـمُذاكِرينَ، وزيدًا، قد خُلِعت عليهم هذه التسمية – أَعنـي الرُّسوخ – لانقطاعهم إلـــى القرآن حفظًا، ومُدارســة، ومذاكرة. فكأنَّ الرَّاسخين فـــي العلم عند مَن أطلقها على هؤلاء الـــمذكورين أراد بـها صفة الانقطاع إلـى القرآن وملازمته لا الـحكم عليهم بـــحيازة العلم الـمُخْتَلَف فيه، ولعلّ ما يعضد ذلك مقولة ابن عبّاس: أَنا من الرَّاسخين فـي العلم.

وأمَّا قولـهم: «الرَّاسِخُ فِـي العِلْمِ: البَعِيدُ العِلْمِ»، فكأنَّـهم أرادوا أَنّ مـحصَّل – الـــمذكور هنا – من العلم قد فاق الآخرين فـي ما حصلوا عليه فـي الشَّأن نفسه، لكنّ كلمة (بعيد) تـحتمل الـمنافسة فـي هذا البُعْد، فربَّـما يكون هناك مَنْ هو أبعد منه فـي ذلك.

بقي من كلام الـمعجميّين قولـهم: «رَسَخَ الغَدِيرُ رُسُوخًا: نَضَبَ ماؤُهُ. ورَسَخَ الـــمَطَرُ رُسُوخًا، إِذا نَضَبَ نَداهُ فِـــي داخِلِ الأَرْضِ فَالتَقى الثَّرَيَانِ» (ابن منظور: 3/ 18، 19 (رســخ)) (الزبيدي، 2005، ينظر: 4/ 271، (رســخ)). ويبدو أَنّه ليس بعيدًا عن معنـى الثَّبات؛ لأَنَّه متَّصِلٌ بالـماء الَّذي ابتعد عن سطح الأَرض، فغار فـي أَعماقها، وليس بعيدًا أَنْ يكون البَعِيدُ العِلْمِ منحدرًا منه فـي الاستعمال.

نتبيّن مـــمّا تقدّم أَنّ الرُّسوخ يكون ثباتًا فـــي الأمر، أَو مُلازمة له، أو غوصًا فيه لإدراك منتهاه. فأمَّا الأوّل وهو الأَصل للـــمادّة فلا زعزعة فيه ومثاله الـجبل. وأَمَّا الثَّانـي فإِنَّه ملازمة قد يعرض لـها الانفكاك، وأَمَّا الثَّالث ففيه تقع الـمنافسة وتنعدم الـمساواة.

فالرّاسخون في العلم على المعنى الأَصل في اللّفظ، هو الثّبات كثبات الجبال:((وجَعَلْنا فِي الأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ)) [الأنبياء 31]. ومَن ذهب إلى تفسير الرُّسوخ بالمُلازمة، والغوص لإدراك منتهى الشَّيء يكون قد ركن إلى المعنى المتطوّر للرُّسوخ، أي: هو ثبات على غير طريقة ما أراده العرب باللَّفظ في استعمالهم الأوّل له.

وعقب هذا التحليل اللّغويّ أقول: إن للقرآن الكريم خصوصيّةً في الاستعمال تؤخذ من السياق الوارد في النصّ، ووفقا للاستدلال الدّاخليّ لموضعي الرّاسخين في العلم (آل عمران والنساء) نلحظ أنّهما وردا في مورد المدح والثناء، ولم يرد في سياقهما ذمّ، وذلك يدفعنا إلى القول بأنّ الرّسوخ في العلم الوارد في القرآن الكريم يعني الثبات الذي مثّلوا له بثبات الجبل.

10. الوجوه الصَّحيحة المحتمَلة في الواو:

الأَوَّل: عطف جملة على جملة، أَي: عطف جملة: (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ) على جملة: (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ)، وهو المرجَّح لديّ.

الثَّاني: الواو للاستئناف، أَي: أنَّ جملة (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ)، مبتدأٌ بها، ولا علاقة عطف بينها وبين الجملة الَّتي قبلها.

11. إشكاليَّة تحديد (الرَّاسخين في العلم) في النَّصّ الرُّوائيّ:

ورد في المأثور عن الإمام الرِّضا (ع): «مَنْ رَدَّ مُتَشابهَ القُرْآنِ إلى مُحْكَمِهِ هُدِيَ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ. ثُمَّ قالَ: إنَّ فِي أَخْبارِنا مُتَشابهًا كَمُتَشابهِ القُرْآنِ، ومُحْكَمًا كَمُحْكَمِ القُرْآنِ، فَرُدُّوا مُتَشابِهَها إلى مُحْكَمِها، ولا تَتَّبِعُوا مُتَشابِهها دُونَ مُحْكَمِها، فَتَضِلُّوا» (الصَّدوق: 2/ 261).

لعلَّ في النَّصّ المذكور حلًّا لإشكاليَّة التَّضارب الظَّاهر من النُّصوص، فهناك نصوص ظاهرها يحصر الرَّاسخين في العلم بمحمَّد وآل محمَّد (عليهم السَّلام)، من أَمثال قول أَمير المؤمنين (عليه السَّلام): «أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِبًا وَبَغْيًا عَلَيْنَا أَنْ رَفَعَنَا اللهُ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ. بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى وَيُسْتَجْلَى الْعَمَى، إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ» (الإمام علي (عليه السَّلام)، 2010، خطبة 144، شرح 199).

وروى الكُلينيّ في الكافي بسنده عن أَحد الصَّادِقَين (عليهما السَّلام) في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، قوله (ع): «فَرَسُولُ الله (ص) أَفْضَلُ الرَّاسِخِينَ فِي العِلْمِ، وقَدْ عَلَّمَهُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ جَمِيعَ ما أَنْزَلَ مِنَ التَّنْزِيلِ والتَّأْوِيلِ، وما كانَ اللهُ لِيُنْزِلَ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يُعَلِّمْهُ تَأْوِيلَهُ، وأَوْصِياؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ يَعْلَمُونَهُ كُلَّهُ...» (الكلينيّ، 2009: 1/ 270). وروى الكُلينيّ أَيضًا في الكافي بسنده عن أَبي عبد الله (ع) قال: «نَحْنُ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ، ونَحْنُ نَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ» (الكلينيّ، 2009: 1/ 270).

وبالمقابلة بين هذه النُّصوص وما أَوردناه في الاستدلال الخارجيّ من نصّ لأَمير المؤمنين (عليه السَّلام)، ونصّ للإمام الكاظم (عليه السَّلام)، نلحظ أَنَّنا بحاجة إلى اعتماد الآليَّة الَّتي يضعها الإمام الرَّضا (عليه السَّلام) من ردّ متشابه النَّصّ الرُّوائيّ عن محمَّد وآل محمَّد (عليهم السَّلام) إلى محكمه؛ وبذا نستطيع تأويل النُّصوص الَّتي ظاهرها حصر الرَّاسخين في العلم بمحمَّد وآله (عليهم السلَّام) بأَنَّها ناظرة إلى أَنَّهم (عليهم السَّلام) الأَوْلى والأَحقّ والأَعلى شأنًا، وهم على قمَّة الرَّاسخين في العلم، وأَنَّ أَيّ أَحد يدَّعي امتلاكه صفة الرُّسوخ في العلم من دون اعتماده على علوم محمَّد وآل محمَّد فهو كاذب مفترٍ، ويصدق

عليه الزَّيغ الوارد في قوله تعالى:((فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِه)).

12. الخاتمة:

في خاتمة البحث يمكننا القول:

1. إِنَّ اعتماد استنطاق القرآن الكريم للقرآن يفتح منافذ مغلقة تعالج إِشكاليَّات معرفيَّة تاريخيَّة وحاليَّة.

2. القول المقبول بحسب الاستدلال في البحث بشأن دلالة الواو النَّحويَّة، هو أَنَّه عطف جملة، أَو استئناف، والأَوَّل أَقرب لروح النَّصّ.

3. (الراسخون في العلم) وصف ورد في سورتي آل عمران، والنساء، ودلّا في الموضعين على إمكانية اتصاف من ارتقى بنفسه ووصل إلى هذه المرتبة الرفيعة، ولا دلالة في الموضعين على عدم تقييد (الراسخين في العلم) بمجموعة أو طائفة معينة.

4. ما ورد من تخصيص للرَّاسخين في العلم في المرويّ عن محمَّد وآله (عليهم الصَّلوات والسَّلام) ناظرٌ إِلى درجات الرَّاسخين في العلم، وهذا يدلّ على أَنَّه تخصيص باستهلالهم الرَّاسخين في العلم، وأَنَّهم (عليهم السَّلام) سادتهم وقادتهم، إِذ إِنَّ كمال صفة الرُّسوخ في العلم تتجلَّى فيهم.

الـمراجع:

القرآن الكريـم.

- إبراهيم، د. جواد كاظم. 2018. **إِشكاليَّة النَّشاط اللِّسانـيّ الأنثروبولوجي فـي التَّدوين الرَّسـميّ للنَّصّ القرآنـيّ**. مجلة آداب المستنصرية. العدد 82. بغداد.
- ابن الأنبـاري، أبو البركات. 1980. **البيان في غريب إِعراب القرآن**. المتوفى سـنة 577هـ. تحقيق: طه عبد الحميد طه. الهيأة المصرية العامة للكتاب. مصر.
- ابن فارس، أَبو الـحسين أَحـمد بن فارس الرَّازي. المتوفى سنة 395هـ. 2011. **مقاييس اللُّغة**. تـحقيق: إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية. الطبعة الثالثة. لبنان.
- ابن منظور، جمال الدِّين مـحمَّد بن مَكْرم الأفريقيّ الـمصريّ الـمتوفّـى سنة711هـ. (د.ت). **لسان العرب**. دار صادر. بيروت.
- ابن يعيش، موفَّق الدِّين أَبـي البقاء يعيش بن عليّ الـموصليّ الـمتوفّـى سنة643هـ. 2001. **شرح المفصَّل**. اعتنـى به أَميل بديع يعقوب. دار الكتب العلميَّة. بيروت. لبنان. الطَّبعة الأُولـى.
- الأَصبهانيّ، أَبو الـحسن عليّ بن الـحسين الباقولـيّ الـمعروف بـجامع العلوم، المتوفى سنة 543هـ. 2007. **شرح اللُّمَع فـي النَّحو لأَبـي الفتح عثمان بن جنـيّ**، المتوفى سنة 392هـ. تـحقيق: مـحمَّد خليل مراد الـحربـيّ، دار الكتب العلميَّة. الطَّبعة الأُولـى. بيروت.
- الجرجـاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن النحويّ المتوفى سـنة 471هـ. 2004. **دلائل الإعجاز**. علَّق عليه: محمود محمد شاكر. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط5.
- جيرو، بييرو. 1992. **علم الإشـارة**. ترجمة: منذر عياشي. تقديم: مازن الوعر. منشورات دار طلاس. سوريا.
- خطابي، محمَّد. 2012. **لسانيَّات النَّصّ مدخل إِلـى انسجام الـخطاب**. الـمركز الثَّقافـيّ العربـيّ. الطَّبعة الثَّالثة. بيروت.
- الزبيـدي، محب الدين أبي فيض محمد مرتضى. المتوفى سـنة 1205هـ. 2005. **تاج العروس من جواهر القاموس**. تحقيق علي شـيري. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت – لبنان.

- الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر. المتوفى سنة 538 هـ. 2009. **أساس البلاغة**. ضبطه محمد نبيل طريفي. الطبعة الأولى. دار صادر. بيروت.
- الزمخشري. 2016. **شرح الأُنموذج في النَّحو**. تحقيق: قاسم نعيم الطَّائيّ الحنفيّ. دار الكتب العلميَّة. الطَّبعة الأُولى. بيروت.
- السَّبحاني، جعفر. 2013. **المناهج التَّفسيريَّة في علوم القرآن**. دار الولاء للطِّباعة والنَّشر والتوزيع. الطَّبعة الرَّابعة. بيروت.
- الشَّريف الجرجانيّ، أَبو الحسن عليّ بن محمَّد المتوفى سنة 816هـ. 2009. **التَّعريفات**. دار الكتب العلميَّة. الطَّبعة الثَّالثة، بيروت.
- الصَّدوق، الشَّيخ أَبي جعفر. (د.ت). **عيون أَخبار الرِّضا**. منشورات الفجر. الطَّبعة الأُولى. لبنان.
- الطَّباطبائي، السَّيِّد محمَّد حسين. 1997. **الميزان في تفسير القرآن**. مؤسسة الأَعلميّ للمطبوعات. الطَّبعة الأُولى. بيروت.
- الطَّبرسي، أبو عليّ الفضل بن الحسن. 2005. **مجمع البيان في تفسير القرآن**. تحقيق: لجنة من العلماء والمحقِّقين. مؤسسة الأَعلميّ للمطبوعات. الطَّبعة الثَّانية. بيروت.
- (الإمام علي (عليه السَّلام) 2010). **نهج البلاغة للإمام عليّ (عليه السَّلام)**. جمع السَّيِّد الشَّريف الرَّضيّ. شرح محمَّد عبده. مؤسَّسة الصَّفاء للمطبوعات. الطَّبعة الأُولى. بيروت.
- الفراهيدي، أَبو عبد الرَّحمن الخليل بن أَحمد المتوفى سنة 175هـ. 1988. **العين**. تحقيق: مهدي المخزوميّ. وإبراهيم السَّامرائيّ. منشورات مؤسسة الأَعلميّ للمطبوعات. الطَّبعة الأُولى. بيروت.
- القرشي، باقر شريف. 1431هـ. **حياة الإمام موسى بن جعفر دراسةٌ وَتحليل**. العتبة الكاظمية المقدسة.
- القميّ، أبو الحسن علي بن إبراهيم. (د.ت). **تفسير القمي**. تصحيح وتعليق: طيب الموسوي الجزائري. مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشرر. الطبعة الثالثة. إيران.
- الكلينيّ، ثقة الإسلام محمَّد بن يعقوب المتوفى سنة 329هـ. 2009. **أُصول الكافي**. تحقيق: محمّد جعفر شمس الدِّين. دار التعارف للمطبوعات. (دون طبعة). لبنان.

- المخزومي، مهدي. 1986. **فـي النَّحو العربـــيّ قواعد وتطبيق**. دار الرائد العربي. الطبعة الثانية، بيروت.
- المتقي، علاء الدِّين علي الـــمتَّقي بن حسام الدِّين الـهنديّ، المتوفى سنة 975هـ. 1399هـ. **كنـز العمَّال فـي سنن الأَقوال والأَفعال**. مؤسَّسة الرِّسالة.
- الهمداني، بهاء الدِّين عبد الله بن عقيل العقيليّ الـــمصريّ. 1967. المتوفى سنة 769هـ. **شرح ابن عقيل على أَلفيَّة ابن مالك**. تـحقيق: مـحمَّد مـحيي الدِّين عبد الـحميد. دار الاتِّـحاد العربـيّ للطِّباعة. الطَّبعة الـخامسة عشرة. مصر.
- وغليسي، د. يوسف. 2008. **إِشكاليَّة الـمصطلح فـي الـخطاب النَّقديّ العربـيّ الـجديد**. منشورات الاختلاف. الـجزائر. وناشرون. بيروت. الطبعة الأولى.
- يعقوب، إِميل بديع. 1988. **موســوعة النَّحو والــصَّرف والإِعراب**. دار العلم للملايين. الطَّبعة الأُولـى. بيروت.